

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة السادسة والتسعون

البخاري (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : -

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع طرف من حياة فتي من فتيان الإسلام ، ذلك الفتى الذي أعجب المحدثين فكتبوا عنه وحكموه في الحديث ولم يجاوز الثامنة عشرة من عمره ، إنه محمد بن إسماعيل البخاري (رحمه الله) .

إن الشباب في صدر الإسلام أمثال محمد بن إسماعيل البخاري (رحمه الله) قد أثبتوا مكانتهم في المجتمع المسلم ، وعرف الناس لهم قدرهم ، فأصبح العلماء يجلونهم ويقدرونهم ويوصون الناس بالأخذ عنهم والتعلم منهم ، قال إسحاق بن راهويه اكتبوا عن هذا الشاب يعني البخاري فلو كان في زمن الحسن لاحتاج إليه الناس لمعرفته بالحديث وفقهه .

قال وسمعت علي بن حجر يقول أخرجت خراسان ثلاثة: أبو زرعة ومحمد بن إسماعيل وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، ومحمد عندي أبصرهم وأعلمهم وأفقههم .

وقال محمد بن أبي حاتم سمعت إبراهيم بن خالد المروزي يقول رأيت أبا عمار الحسين بن حريث يثني على أبي عبد الله البخاري ويقول لا أعلم أني رأيت مثله كأنه لم يخلق إلا للحديث .

وقال محمد سمعت محمود بن النضر أبا سهل الشافعي يقول دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها كلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضلوه على أنفسهم.

وقال سمعت محمد بن يوسف يقول لما دخلت البصرة صرت إلى بُندار فقال لي من أين أنت قلت من خراسان قال من أيها قلت من بخارى قال تعرف محمد بن إسماعيل قلت أنا من قرابته فكان بعد ذلك يرفعني فوق الناس .

قال محمد وسمعت محمد بن إسماعيل يقول لما دخلت البصرة صرت الى مجلس بندار فلما وقع بصره علي قال من أين الفتى قلت من أهل بخارى فقال لي كيف تركت أبا عبد الله فأمسكت فقالوا له يرحمك الله هو أبو عبد الله فقام وأخذ بيدي وعانقني وقال مرحبا بمن أفخر به منذ سنين .

ولما بلغه هذا الفتى من قوة الحفظ عده جماعة من أهل العلم من حفاظ الدنيا ، قال أبو قريش محمد بن جمعة الحافظ سمعت محمد بن بشار يقول حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري والدارمي بسمرقند ومحمد ابن إسماعيل ببخارى ومسلم بنيسابور .

وكان الإمام أحمد يقول : انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان: أبو زرعة الرازي ومحمد بن إسماعيل البخاري وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي والحسن بن شجاع البلخي .

قال ابن الأشعث فحكيت هذا لمحمد بن عقيل البلخي فأطرى ذكر ابن شجاع فقلت له لم لم يشتهر قال لأنه لم يتمتع بالعمر .

ومن الجدير بالذكر أن الإمام البخاري (رحمه الله) استحق هذا الوصف وهو في فترة الشباب ، قال نصر بن زكريا المروزي سمعت قتيبة بن سعيد يقول شباب خراسان أربعة محمد بن إسماعيل وعبد الله بن عبد الرحمن يعني الدارمي وزكريا بن يحيى اللؤلؤي والحسن بن شجاع .

وكان الرجل إذا رحل إلى بخارى لا يرجع إلا بعد أن يلاقي محمد بن إسماعيل ، وكان بعض أهل العلم يحتقرون من يرحل إلى بخارى ولم يكن له ذلك ، قال محمد حدثني جعفر بن محمد الفريزي قال خرج رجل من أصحاب عبد الله بن منير رحمه الله إلى بخارى في حاجة له فلما رجع قال له ابن منير لقيت أبا عبد الله قال لا فطرده وقال ما فيك بعد هذا خير إذ قدمت بخارى ولم تصر إلى أبي عبد الله محمد بن إسماعيل .

ولم تكن إمامة البخاري (رحمه الله) على أهل بلده فحسب ، بل في أقطار أخرى اعترف له أهلها بالإمامة عليهم ، قال حاتم بن مالك الوراق سمعت علماء مكة يقولون محمد بن إسماعيل إمامنا وفقهنا وفقه خراسان .

ولم يتوقف العلماء عند هذا الحد من الاعتراف له بالإمامة ، بل كانت أمنية بعضهم أن يتعلم من علم هذا الشاب ، قال أبو سهل محمود الشافعي سمعت أكثر من ثلاثين عالما من علماء مصر يقولون حاجتنا من الدنيا النظر في تاريخ محمد بن إسماعيل .

وكان الإمام البخاري (رحمه الله) وهو صغير يختلف إلى أبي حفص أحمد بن حفص البخاري ، فقال عنه أبو حفص : هذا شاب كيس أرجو أن يكون له صيت وذكر . وقد كان له ذلك من الصيت والذكر والنفع لهذه الأمة ، نسأل الله لشبابنا التوفيق .

قال محمد بن أبي حاتم : سئل عبد الله بن عبد الرحمن عن حديث محمد بن كعب : "لا يكذب الكاذب إلا من مهانة نفسه عليه" وقيل له محمد يزعم أن هذا صحيح فقال محمد أبصر مني لأن همه النظر في الحديث وأنا مشغول مريض ثم قال محمد أكيس خلق الله إنه عقل عن الله ما أمره به ونهى عنه في كتابه وعلى لسان نبيه إذا قرأ محمد القرآن شغل قلبه وبصره وسمعه وتفكر في أمثاله وعرف حلاله وحرامه .

هكذا تكون ثمرة العلم لدى الشاب ، فإنه يعقل أمر الله ونهيه ، وليس هذا فحسب ، فإنه يحرص كل الحرص على العمل بالمأمور به ، ويتعدى عن المنهي عنه ، طاعة لله ورسوله ، كما كانت حال البخاري (رحمه الله) .

فعلى شباب المسلمين في هذا الزمان أن يتأملوا فيما تعلموا من كتب الله ، وسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيعملوا بالأمر ويجتنبوا النهي ، فذلك فلاح ونجاح لهم في الدنيا والآخرة ، قال المولى سبحانه وتعالى ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ .

وفي الطاعة تلك الحياة الطيبة التي ينشدها الشباب وغيرهم ، كما في قوله سبحانه :
﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا
رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة
والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .